بصائر المعرفة القرآنية
قرآن يتلى لإنسانية به ترقى

المُحكم والمُتشابه

من كتاب (الأساس والتنوير
في أصول التفسير)

أ.د. عبد السلام مقبل المجيدي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن والدراسات القرآنية

الأصل السابع: المحكم والمتشابه

الأصل السابع: المحكم والمتشابه

ويتضمن المباحث الآتية:

المبحث الأول: تعريف المحكم والمتشابه.

المبحث الثاني: أنواع الآيات القرآنية من حيث الإحكام والتشابه.

المبحث الثالث: أنواع عامة تدخل في المتشابه.

المبحث الرابع : أقسام المتشابه عند الراغب الأصفهاني.

المبحث الخامس: المتشابه عند الإمام الشاطبي.

المبحث السادس: قواعد هامة في باب الإحكام والتشابه.

المبحث السابع: أمثلة لرد المتشابه إلى المحكم.

المبحث الثامن: أمثلة على من اتبع المتشابه.

المبحث التاسع: من صور الاتباع المذموم للمتشابه.

المبحث العاشر: أسباب التشابه.

المبحث الحادي عشر: مراتب المتشابه عند الإمام الطاهر بن عاشور.

المبحث الثاني عشر: حكمة وجود المتشابه في القرآن الكريم.

المبحث الثالث عشر: أهم المؤلفات في المحكم والمتشابه.

المبحث الأول: تعريف المحكم والمتشابه

عرف المحكم لغة واصطلاحًا.

أولًا- تعريف المحكم:

المحكم لغة: من الإحكام بمعنى المنع، وسمي الحاكم حاكمًا لمنعه الظالم من الظلم، ومنه قول الشاعر:

أبــنى حنيفــةَ أحكمــوا ســفهاءَكم إني أخــاف علــيكمُ أن أغضــبَا[(١)]

المحكم اصطلاحًا: عرف المحكم اصطلاحًا بأكثر من تعريف، ومما قيل في تعريفه: "مالا يحتمل في التأويل إلا وجها واحدا "[(٢)]، أو هو "البين بنفسه، الدال على معناه بوضوح، فلا يعرض له شبهة من حيث اللفظ، ولا من حيث المعنى"[(٣)].

ثانيًا- تعريف المتشابه:

عرف المتشابه لغة واصطلاحًا.

المتشابه لغة: مشتق من التشابه، وتعني تماثل الأشياء أو تقاربها في قضية من القضايا كاللون، والطعم، والعدالة والظلم، فيُقَالُ: شِبْهٌ وَشَبَهٌ وَشَبِيهٌ، وَالشَّبَهُ مِنَ الْجَوَاهِرِ: الَّذِي يُشْبِهُ الذَّهَبَ.

وأصل الشِبْه والشَبَه: ضرب من النُحاس يُلقَى عليه (أي يخلط به) دَوَاءٌ فيه صفرة، فاجتمعت صفرة الدواء على صفرة النحاس.

وَالْمُشَبِّهَاتُ مِنَ الْأُمُورِ هي التي تماثلت تماثلاً كبيرًا حتى صار تمييزها مشكلاً، وأصله أن يشبه اللفظُ اللفظَ في الظاهر، وتقول: "اشتبه علي الأمر" إذا أشبه غيره، فلم تكد تفرق بينهما، والشُّبْهَةُ: هو أن لا يتميّز أحد الشّيئين من الآخر لما بينهما من التّشابه، عينًا كان أو معنى، قال: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥]، أي: يشبه بعضه بعضًا لونًا لا طعمًا وحقيقة، وقيل: متماثلًا

---

(١) لسان العرب (١٢/ ١٤٠)، تاج العروس (ص٧٦٧٣)، العين (٣/ ٦٧)، الزاهر (١/ ٤١٩).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٦٩).

(٣)كيف نتعامل مع القرآن العظيم، د. يوسف القرضاوي (ص: ٣٠٧).

في الكمال والجودة، وذكر الراغب المعنيين، والثاني أجود، فالتشابه في الكمال، ومن النعيم تنوع المنظر لونًا وطعمًا.

المتشابه اصطلاحًا: قيل في تعريف اصطلاحًا: "مالا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره "[(١)]، وقيل: "ما أشكل تفسيره، لمشابهته بغيره، إما من حيث اللفظ، وإما من حيث المعنى [(٢)]".

ما علاقة علم "المحكم والمتشابه" بأصول التفسير؟

الجواب: قد تكون الصعوبة في فهم القرآن الكريم راجعة إلى عدم التمييز بين ما لا يحتمل إلا معنى واحدًا، وما يحتمل معنى ثانيًا أو ما يحتمل معاني متعددة أي إلى عدم التمييز بين المحكم والمتشابه، وهذا يقود إلى معرفة هذا الأصل ضمن علم أصول التفسير، وسنضع فيه أهم القواعد المتعلقة به.

(١)البرهان في علوم القرآن (٢/٧٠).

(٢)كيف نتعامل مع القرآن العظيم، د. يوسف القرضاوي (ص: ٣٠٧).

المبحث الثاني: أنواع الآيات القرآنية من حيث الإحكام والتشابه

قاعدة: الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب:

محكمٌ على الإطلاق، ومتشابهٌ على الإطلاق، ومحكمٌ من وجهٍ متشابهٌ من وجه[1]، وفي هذه القاعدة يقول الشيخ/ الطالب زيدان –وفقه الله–:

لأَضْـــرِبٍ ثَلاثَـــةٍ تَنْـقسِـــمُ آيـــاتُهُ العُظْمَـى، فَمِنْهَـا المحْكَـمُ

وَالْمُتَشَـــابِهُ، وَأُطْلِـقَـــا بِـــلاَ قَيْـدٍ، ومِـنْ وَجْـهٍ لِـذيْنِ مُسْـجَلاَ

المحكم والمشابه في لغة القرآن:

فإن قلت: ما المراد بالمحكم والمشابه في لغة القرآن؟

(١) مفردات القرآن(ص: ٧٤٧).

الجواب: قد سبق أن تعرفنا إلى مصطلحي (المحكم والمتشابه) لغة واصطلاحًا، وعندما نريد أن نتعرف إلى المراد بهما في لغة القرآن، فينبغي أن نستقرئ مواضع ورودهما فيه، وسيظهر لنا أنهما يأتيان على وجهين:

الوجه الأول: الإحكام والتشابه المطلق.

الوجه الثاني: الإحكام والتشابه بالمعنى الخاص.

الوجه الأول: الإحكام والتشابه المطلق:

يمكننا أن نصف الآيات القرآنية بأنها محكمة ومتشابهة في آن واحد، فما المراد بكل من هذين الوصفين؟

الجواب: الآيات القرآنية يمكن وصفها بهذين الوصفين:

الوصف الأول: كلُّها محكمةٌ مطلقًا:

وهنا ستسأل: فما معنى الإحكام إذا وصفنا به جميع آيات القرآن؟

يجيبنا عن هذا شيخ المفسرين الطبري ﷺ ويلفتنا إلى أن معنى الإحكام: منع الآيات من أن يتطرق إليها الدَّخَل والخَلَل والزلل والباطل، وهي ما فصَّلها الله في كتابه بالأمر والنهي[(١)]، وينبغي أن نضيف إلى ذلك: وما أحكم الله معناه من القضايا الإيمانية، والوعظية، والتربوية، فهن "قد أحكمن بالبيان والتفصيل، وأثبتت حججهن وأدلتهن على ما جُعلن أدلة عليه من حلال وحرام، ووعد ووعيد، وثواب وعقاب، وأمر وزجر، وخبر ومثل، وعظة وعِبر، وما أشبه ذلك"[(٢)].

وربما سألت: ما متعلق الوصف بالإحكام؟ وإلى أي شيء يعود؟

والجواب: أن الإحكام يعود إلى ثلاثة أمور:

الأمر الأول: إحكامٌ في اللفظ مفردًا ومركبًا.

الأمر الثاني: إحكامٌ في المعنى؛ فأخبار القرآن كُلُّها محكمةٌ ليس فيها كذب، وأحكامه محكمةٌ ليس فيها ظلم، ومدلولاته محكمةٌ ليس فيها تناقض ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام الآية ١١٥]، أي صدقًا في الأخبار، وعدلاً في الأحكام.

الأمر الثالث: إحكامٌ في المقصد المراد من المعنى بوجود الحكمة حيث وصف الله ﷻ القرآن بها.

الوصف الثاني: كلُّ آيات القرآن متشابهةٌ مطلقًا:

وورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٢٣].

وهنا ستسأل أيضًا: فما معنى التشابه إذا وصفنا آيات القرآن كلها به؟

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٢٢٧).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ١٧٠).

الجواب: المراد من وصف جميع آيات القرآن بالمتشابه أنها تشبه بعضها بعضًا في صدق أخبارها، وعدالة أحكامها، وروعة نظمها، ونصوع حقائقها، وتصديق بعضها لبعض[١]. أو أن "القرآن كله متشابه من جهة الإعجاز، والبيان، والهداية، واتساق نظمه، وعدم التفاوت في بلاغته"[٢].

لعلك تسأل: عرفنا الوجه الأول من المراد بالمحكم والمتشابه في لغة القرآن، فما الوجه الثاني؟

الوجه الثاني: الإحكام والتشابه بالمعنى الخاص:

رجعنا إلى الكتاب المهيمن، فوجدناه يصف بعض الآيات بالإحكام، وبعضها بالتشابه باعتبار يختلف عن الذي قدمنا آنفًا، وورد ذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، فقد قسم الله ﷻ آيات القرآن المجيد إلى محكمات ومتشابهات، وجعل المحكمات تقابل المتشابهات:

وهنا يختلف معنى الإحكام عن معناه الأول، وكذلك يختلف معنى التشابه عما سبق، فماذا يكون معنى الإحكام المقابل للتشابه؟

معنى الإحكام الخاص:

فالمحكمات: هن الواضحات في معانيهن، مثل: ﴿فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ [المَائِدَة: ٦]

فكلمة: اغسلوا واضحة في معناها، وكلمة وجوهكم واضحة في معناها، إلا أن الوضوح هنا إجمالي، ويبقى التفصيل متشابهًا، فقد يقال: هل يدخل في حد الوجه: باطن الفم والأنف والعين؟

مواطن الإحكام (واضح الدلالة) في القرآن الكريم:

وهل يدخل في الإحكام ما احتمل صورتين أو أكثر يرجعن إلى معنى واحد عام مما سمي باختلاف التنوع في التفسير؟

الجواب: الظاهر أنه يدخل في الإحكام.

ومنه المعمول به فلا يتطرق إليه نسخ، ومنه ما عرف العلماء تأويله، وفهموا معناه وتفسيره.

ويدخل في المحكم بذلك ما تعددت معانيه مع صحة حمله على كل منها، فقول الدهلوي ﵀ في المحكم: هو الواضح الذي لا يفهم منه العارف باللغة إلا معنىً واحدًا[٣]، فيه نظر؛ إذ يمكن أن يكون محكمًا، وهو يحتمل عدة معانٍ، ويصدق عليها جميعًا، ويدخل فيه ما يسميه الشافعية بعموم المشترك أو جواز إطلاق المشترك على معنييه أو معانيه؛ حيث لا تعارض بين المعاني التي تدل عليها الكلمة أو التركيب[٤].

---

(١) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، د. يوسف القرضاوي (ص: ٣٠٧).

(٢) معجم علوم القرآن (ص: ٢٣٩).

(٣) الفوز الكبير ص٢٣٥ مع الشرح، حجة الله البالغة ٤٩٢/١.

(٤) «حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع» (١/ ٣٨٤).

ما هو المعتبر في عد المعنى محكمًا؟

الجواب: قرر الشافعي رحمه الله سيد واضعي أصول التفسير أن المعتبر فهم العرب وفق لسانهم، فقال: "خاطب الله ﷻ بكتابه العربَ بلسانها، على ما تَعْرِف مِن معانيها، وكان مما تعرف من معانيها: اتساعُ لسانها، وأنَّ فِطْرَتَه أنْ يخاطِبَ بالشيء منه عامًّا، ظاهِرًا، يُراد به العام، الظاهر، ويُسْتغنى بأوَّل هذا منه عن آخِرِه، وعامًّا ظاهرًا يراد به العام، ويَدْخُلُه الخاصُّ، فيُسْتَدلُّ على هذا ببَعْض ما خوطِبَ به فيه؛ وعامًّا ظاهرًا، يُراد به الخاص، وظاهرًا يُعْرَف في سِياقه أنَّه يُراد به غيرُ ظاهره، فكلُّ هذا موجود عِلْمُه في أول الكلام، أوْ وَسَطِهِ، أو آخِرَه"(١).

وحاول الشاطبي رحمه الله التأكيد على ذلك، فقال: "أَنَّهُ لَا بُدَّ فِي فَهْمِ الشَّرِيعَةِ مِنِ اتِّبَاعِ مَعْهُودِ الْأُمِّيِّينَ، وَهُمُ الْعَرَبُ الَّذِينَ نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِهِمْ"(٢)، ولكن اختياره الوصف بالأمية دون العربية يثير بعض الإشكال حتى لو أراد زيادة التدقيق، وكانت عبارة الشافعي رحمه الله أهدى سبيلاً، وقد قرر الشاطبي رحمه الله نفسه ذلك في مواضع أخرى، فذكر نحوًا من كلام الشافعي تقريبًا(٣).

وزاد الدهلوي رحمه الله هذا المعنى ضبطًا، بأن جعل المعتبر في الإحكام "فهم العرب الأول، لا فهم مدققي زماننا؛ فإن التدقيق الفارغ داء عضال، يجعل المحكم متشابهًا. والمعلوم مجهولاً"(٤).

أمثلة قرآنية على المحكمات الشرعية:

فإن قلت: هلّا تقدم لنا بعضًا من أمثلة الآيات المحكمة في القرآن؟

الجواب: مثل: آيات إنشاء الخلق، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ١٤]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الْأَنْبِيَاء: ٣٠]،

وكذلك من الآيات المحكمة إجمالاً أو إجمالاً وتفصيلاً: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الْأَنْبِيَاء: ٢٣]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ [الْبَقَرَة: ١٨٥]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [الْبَقَرَة: ٢٠٥]، وعند ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أن المحكمات هِيَ الثَّلَاثُ آيَاتٍ الَّتِي فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ﴾ [الْأَنْعَام: ١٥١] إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ؛ لأنها لا تتغير باختلاف الشرائع، أما أَعْدَادِ الصَّلَوَاتِ، وَمَقَادِيرِ الزَّكَوَاتِ، وَشَرَائِطِ الْبَيْعِ، وَالنِّكَاحِ، والقبلة، فقد تتغير يعني في شرائع الأنبياء لا في شريعة النبي ﷺ(٥).

هل تمثيل ابن عباس رضي الله عنهما يعني قلة عدد الآيات المحكمات؟

الجواب: لعل ابن عباس رضي الله عنهما مثّل تمثيلاً للمحكمات التي لا تختلف باختلاف الشرائع النبوية، فهي لا تختلف منذ آدم إلى نبينا مُحَمَّد ﷺ، وإلا فسورة لقمان مثلاً كلها محكمات، بل إن

---

(١) الرسالة ص٥٢.

(٢) الموافقات (٢/ ١٣١).

(٣) الموافقات (٢/ ١٠٣).

(٤) الفوز الكبير (ص: ٧٥).

(٥) ينظر: تفسير الرازي (٧/ ١٤٠).

أسس العبادات، كأركان الصلاة والزكاة محكمات أيضًا، ووفق ذلك ستجد أن المحكمات كمٌّ كبير، خذ الآيات من أول سورة البقرة ستجد كثرة من الآيات التي لا تخرج عن حد الإحكام.

ومن ذلك معظم سورة الأنعام التي مثَّل ابن عباس للإحكام فيها بثلاث آيات.

ويمكننا أن نقول: إن المتشابه بالنسبة للمحكم من نصوص القرآن يعد قليلًا، وذلك لأمور:

أحدها: النص الصريح على أن الآيات المحكمات أم الكتاب، وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]. وأمّ الشيء: معظمه وعامته، والأمُّ أيضًا الأصل والعماد؛ ولذلك قيل لمكة: (أم القرى) لأن الأرض دحيت من تحتها. فإذا كان ذلك كذلك فقوله تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ إنما يراد بها القليل.

والثاني: أن المتشابه لو كان كثيرًا لكان الالتباس والإشكال كثيرًا، وعند ذلك لا يطلق على القرآن أنه بيان وهدى. وقد نزل القرآن ليرفع الاختلاف الواقع بين الناس، والمشكل الملتبس إنما هو إشكال وحيرة لا بيان وهدى، ولولا أن الدليل أثبت أن فيه متشابهًا لم يصح القول به[١]، وهذا مقرر معلوم، وهو ما عناه الشاطبي بقوله: "فَإِذَا جَمَعْتَ هَذِهِ الْأَطْرَافَ؛ تَبَيَّنَ مِنْهَا أَنَّ الْمُتَشَابِهَ قَلِيلٌ، وَأَنَّ الْمُحْكَمَ هُوَ الْأَمْرُ العام الغالب"[٢].

معنى التشابه الخاص:

بذلك فهمنا معنى المحكمات، فما معنى المتشابهات التشابه الخاص؟

الجواب: معنى التشابه الخاص:

فهمنا أن المتشابهات لغة تعني المتقاربات في معنى أو مجموعة معاني، وقد يزداد التشابه حتى يكاد أن يكون تماثلاً تامًّا، فقوله تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧] يقصد به لازم التشابه، وهو الالتباس وعدم التمييز بيسر، مما يستدعي النظر والموازنة والتأمل.

ولنستعرض بعض التعريفات التي قررها علماؤنا –رحمهم الله– للمتشابهات:

أولاً: عرفها الراغب ﵀ بأنها:" ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره، إما من حيث اللفظ، أو من حيث المعنى"[٣].

ثانيًا: قال ابن تيمية ﵀: "ولهذا كان السلف –رضي الله تعالى عنهم– يسمون ما أشكل على بعض الناس حتى فهم منه غير المراد متشابهًا"[٤].

ثالثًا: قال زين الدين مُحَمَّد عبد الرؤوف المناوي (ت١٠٣١هـ) ﵀: "المتشابه المشكل الذي يحتاج فيه إلى فكر وتأمل"[٥].

---

(١) ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة، لمجموعة من الأساتذة (ص: ٥٨٢).

(٢) الموافقات (٣/ ٣٢١).

(٣) مفردات القرآن (ص ٧٤٧).

(٤) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٨/ ٤٩٩).

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف (ص ٦٣٣).

رابعًا: تعال إلى تعريف قويم رآه الدهلوي ﷺ للمتشابهات، وهو التعريف الذي سنعتمده للمتشابهات، فهي عنده: ما احتمل من التأويل أوجهًا، أو ما لم يعلم معناه بدقة، وإن فُهِمَ عمومًا[(١)].

هذا تعريف سديد، لكن ابن عاشور ﷺ وضع قيدًا لذلك، فقال: "هي التي دَلَّتْ عَلَى مَعَانٍ محتملة، تَشَابَهَتْ فِي أَنْ يَكُونَ كُلٌّ مِنْهَا هُوَ الْمُرَادَ، وَعَجَزَ الذِّهْنُ عَنِ التَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا"[(٢)].

فأضاف هذا القيد: "وعجز الذهن عن التمييز بينها"، ولعل القيد سيكون أكثر سدادًا لو قيل: وصعب على الذهن الترجيح بينها، وإن مال إلى بعضها.

ولأن المتشابهات تقابل المحكمات يرى أستاذنا أ.د/ عدنان زرزور أنه لا بد أن يضاف في تعريفها أنه ما كان بحاجة إلى وجه من وجوه التأويل؛ ليحمل في بابه الخاص على الآيات المحكمة، التي تدل على معناها بوجهٍ قاطع، لا يحتمل خلافًا، أو مجازًا [(٣)].

وقد تعددت العبارات في بيان مفهوم الإحكام والتشابه ولا تعارض بينها حيث يمكن جمع كل تلك التعريفات، وحاصل كل ذلك أن يقال إن المحكم: ما اتضح معناه، والمتشابه خلاف ذلك، قال المازري ﷺ: "والأصح أن كل ما تصور فيه التباس وإشكال من هذه المذاهب فهو من المتشابه"[(٤)]، ووضوح المعنى كون اللفظ والعبارة دالة دلالة قطعية على المعنى أو ظاهرة يفهمها كل من يقرأها، بينما التشابه لا يكون ظاهرًا ولا واضح الدلالة، ويحصل بسبب الإجمال أو الاشتراك أو غيره من المباحث التي تحتاج إلى بيان وإيضاح، وقد يكون التشابه أيضًا فيما يحتمل معنى موافقًا للشرع، ومعنى مخالفًا له، فيتبع الراسخون المعنى الموافق ويردونه إلى الأصول، بينما يتبع الزائغون المعنى المخالف للشرع يريدون بذلك إغواء المسلمين والتلاعب به[(٥)]، وسيأتي مزيد بيان لمعنى الإحكام والتشابه عند الحديث عن الإحكام والتشابه الخاص.

مثال توضيحي على المتشابه:

ولنعجل بمثال يتضح فيه التقابل بين المحكم والمتشابه:

في قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، يكون لفظ: (ثلاثة) محكمًا، وأما لفظ: (قروء)، فيكون متشابهًا.

بين المتشابه والمشكل:

ولعل تسأل: ما الفرق بين المتشابه والمشكل؟

---

(١) الفوز الكبير (ص٢٣٥)، مع الشرح، حجة الله البالغة (١/٤٩٢).

(٢) التحرير والتنوير (٣/ ١٥٥).

(٣) علوم القرآن للأستاذ الدكتور/ عدنان زرزور (ص: ٣٣٨).

(٤) إيضاح المحصول من برهان الأصول (ص:٣١٥).

(٥) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٤)، ومناهل العرفان في علوم القرآن (٢/ ٢٧٢).

الجواب: يتداخل العِلمان "المتشابه" و"المشكل"، فقد قال الخطيب البغدادي رحمه الله مبينًا هذا التقارب بينهما: "يُقَالُ لِكُلِّ مَا غَمُضَ وَدَقَّ: مُتَشَابِه، وَإِنْ لَمْ تَقَعْ عَلَى الْحِيرَةِ فِيهِ مِنْ جِهَةِ الشَّبَهِ بِغَيْرِهِ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَدْ قِيلَ لِلْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ مُتَشَابِه، وَلَيْسَ الشَّكُّ فِيهَا وَالْوُقُوفُ عِنْدَهَا لِمُشَاكَلَتِهَا غَيْرِهَا، وَالْتِبَاسِهَا بِهَا، وَمَثَلُ الْمُتَشَابِهِ (الْمُشْكَلُ)، سُمِّي بِذَلِكَ لِأَنَّهُ أَشْكَلَ، أَيْ: دَخَلَ فِي شَكْلِ غَيْرِهِ، فَأَشْبَهَهُ وَشَاكَلَهُ، ثُمَّ قَدْ يُقَالُ لِمَا غَمُضَ"[1].

(١) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (١/ ٢٠٩)، ونقل عن أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك أنه قال: "الْمُحْكَم: مَا أُحْكِمَ بَيَانُهُ، وَبَلَغَ بِهِ الْغَايَةَ الَّتِي يُفْهَمُ بِهَا الْمُرَادُ مِنْ غَيْرِ إِشْكَالٍ وَالْتِبَاسٍ، وَالْمُتَشَابِهُ: هُوَ الَّذِي يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ أَوْ مَعَانِيَ مُخْتَلِفَةً، يُشْبِهُ بَعْضُهَا بَعْضًا عِنْدَ السَّامِعِ فِي أَوَّلِ وَهْلَةٍ، حَتَّى يُمَيِّزَ وَيَتَبَيَّنَ وَيَنْظُرَ وَيَعْلَمَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ فِيهِ، كَسَائِرِ الْأَلْفَاظِ الْمُحْتَمَلَةِ، الَّتِي يَتَعَلَّقُ بِهَا الْمُخَالِفُونَ لِلْحَقِّ، وَذَهَبُوا عَنْ وَجْهِ الصَّوَابِ فِيهِ".

المبحث الثالث: أنواع عامة تدخل في المتشابه

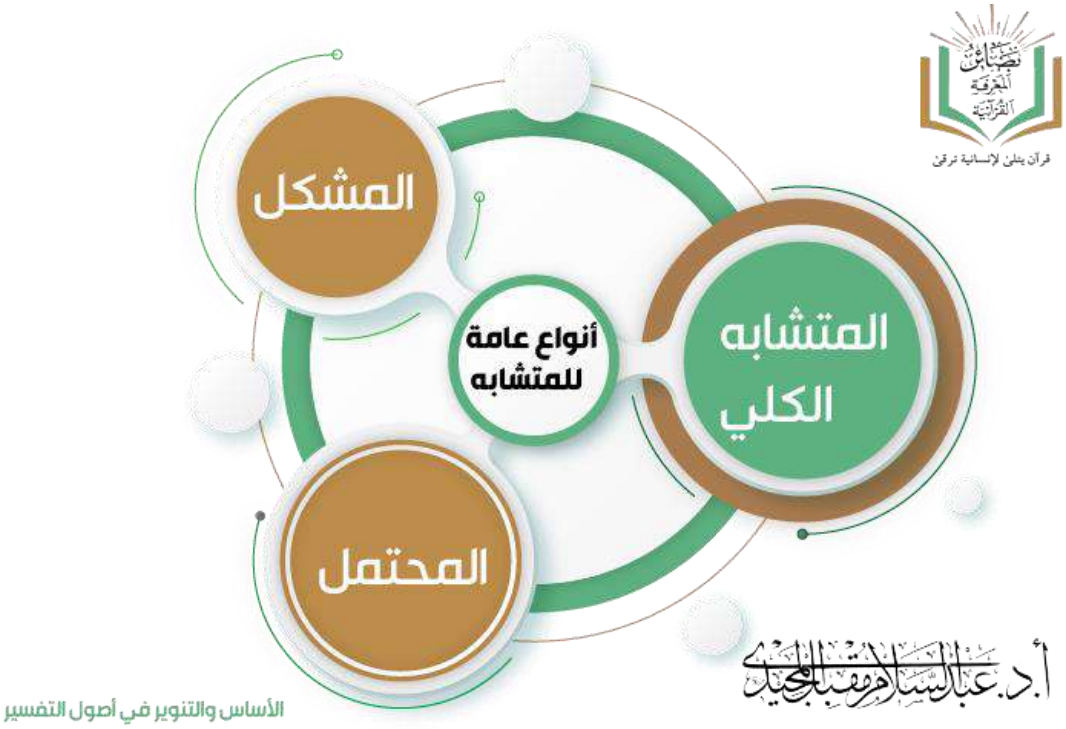

وهنا ستسأل: ما الأنواع العامة التي تدخل في المتشابه؟

النوع الأول: المحتمل:

أي المتعدد المعاني أشبهت المعاني فيه بعضها بعضًا في جهة وإن اختلفت في جهة، أو أشبهت بعضها في أصل لفظها وإن اختلفت في معناها، وعرف القاضي أبو يعلى المشكل بقوله: المشتبه المحتمل الذي يحتاج في معرفة معناه إلى تأمل وتفكر وتدبر[١]، وهنا تدخل فيه المراتب المختلفة التي تدل على معانٍ متعددة مع تدرج الأمر فيها في وضوح المعنى في طرفٍ دون آخر، وبذا دخل في المتشابه: المؤول، ثم الظاهر، ثم النص، ثم المفسَّر، ثم المحكم، والمقصود بالتشابه هنا التشابه العام[٢].

النوع الثاني: المُشكل:

أي الذي أشكل معناه ثم زال الإشكال بعد السبر والتقسيم وتحقيق المناط، فيدخل فيه: المجمل والمشترك والمؤول وما احتمل النسخ، والظاهر (ما احتمل غيره من المعاني)، أما النص والمفسر والمحكم فهو من الإحكام[٣].

النوع الثالث: المتشابه الكلي:

أي الذي استغلق معناه بالكلية، فلم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه دون خلقه، ورجحه الطبري في تعريف المتشابه، وليس في القرآن منه شيء[١] إلا أن يكون مستغلق المعنى في جهة، ولكنه واضح في جهة أخرى، ومن أمثلته:

---

(١) العدة في أصول الفقه ١/١٥٢.

(٢) تفسير الرازي (٧/ ١٤٠)، ويرى الطوفي أن هذا التقسيم من اختيارات الرازي ولم يجده لغيره، ويمكن توجيهه ينظر: شرح مختصر الروضة (٢/ ٥١).

(٣) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام – ابن حزم (٤/ ١٢٥)، وإرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (١/ ٩٠).

أولاً: ما استأثر الله ﷻ بعلمه من الأخبار الغيبية: مثل الخبر عن وقت خروج عيسى بن مريم، ووقت طلوع الشمس من مغربها، وقيام الساعة، فهذا متشابه كلي، لا يمكن معرفته، لكن عدم العلم به مقصود في ذاته.

ثانيًا: المراد بفواتح السور (ألم، المر) فالمعنى العام معلوم لكن المعنى الذي لأجله ظهر التخصيص لهذه الأحرف بدقة يظل متشابهًا[٢].

ثالثًا: ما خفيت علته كأعداد الصلوات واختصاص الصوم برمضان دون شعبان مثلاً، فيمكن القول ببعض المعاني حول ذلك هنا، لكن المعنى المؤكد يظل متشابهًا.

رابعًا: ما كان متعلقًا بحقائق صفات الله ﷻ وكيفياتها من أمور لم يطلع عباده عليها، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

المبحث الرابع: أقسام المتشابه عند الراغب الأصفهاني ﵀ وكيفية تحديده ومعرفته:

ربما تسأل: هلَّا ذكرت أقسام المتشابة إجمالًا قبل أن تذكر أقسامه عند الراغب أو غيره؟

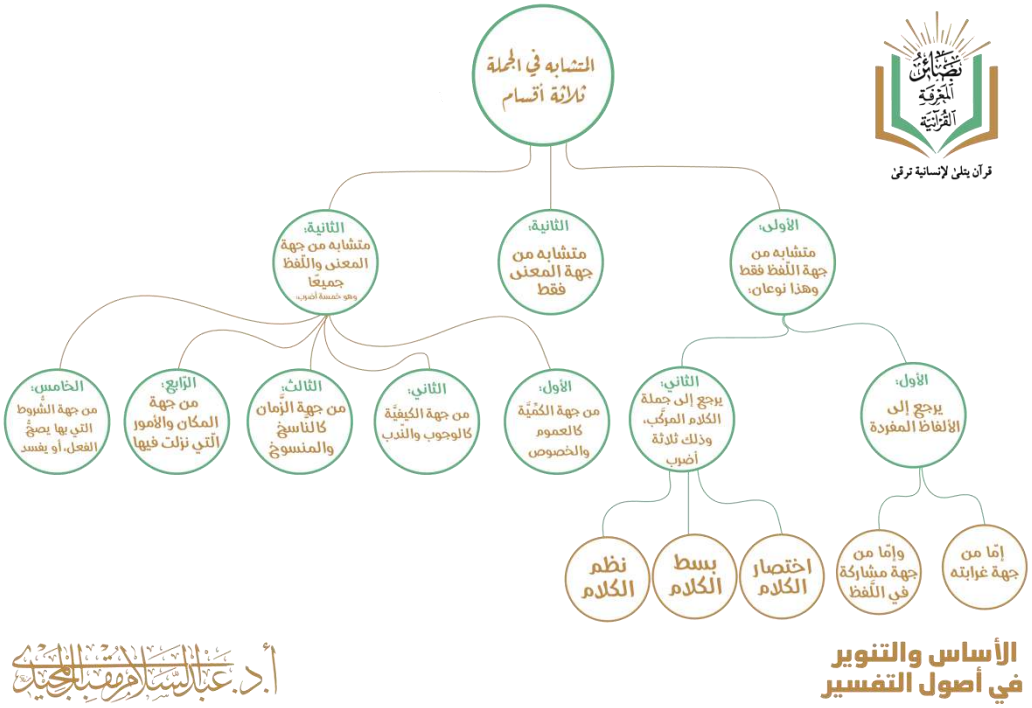

المطلب الأول: المتشابه في الجملة:

وهو في الجملة ثلاثة أقسام: متشابه من جهة اللّفظ فقط، ومتشابه من جهة المعنى فقط، ومتشابه من جهتهما[٣].

---

(١) ينظر: إيضاح المحصول من برهان الأصول للمازري (ص: ٣١٥).

(٢) «روضة الناظر وجنة المناظر» (١/ ٢١٤).

(٣) مفردات القرآن (ص: ٧٤٧).

القسم الأول: المتشابه من جهة اللّفظ:

وهو نوعان:

أحدهما يرجع إلى الألفاظ المفردة، وذلك:

إمّا من جهة غرابته نحو: الأبّ، ويزفّون[١]، وإمّا من جهة مشاركة في اللّفظ كاليد والعين.

والثاني يرجع إلى جملة الكلام المركّب، وذلك ثلاثة أضرب:

ضرب لاختصار الكلام نحو: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣] .

وضرب لبسط الكلام نحو: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١]، لأنه لو قيل: ليس مثله شيء كان أظهر للسامع[٢].

وضرب لنظم الكلام نحو: ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝ قَيِّمٗا﴾ [الكهف: ١-٢]، تقديره: الكتاب قيّمًا ولم يجعل له عوجًا.

القسم الثاني: المتشابه من جهة المعنى:

مثل: أوصاف يوم القيامة، فإنّ تلك الصّفات لا تتصوَّر لنا إذ كان لا يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسّه، أو لم يكن من جنس ما نحسّه.

القسم الثالث: المتشابه من جهة المعنى واللّفظ جميعًا:

خمسة أضرب:

الأوّل: من جهة الكمّيَّة كالعموم والخصوص نحو: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥].

والثاني: من جهة الكيفيَّة كالوجوب والنّدب، نحو: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣].

والثالث: من جهة الزَّمان كالنَّاسخ والمنسوخ، نحو: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

والرّابع: من جهة المكان والأمور الّتي نزلت فيها، نحو: ﴿وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]، وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾ [التوبة: ٣٧]، فإنّ من لا يعرف عادتهم في الجاهليّة يتعذّر عليه معرفة تفسير هذه الآية.

والخامس: من جهة الشُّروط التي بها يصحُّ الفعل، أو يفسد كشروط الصلاة والنكاح. وهذه الجملة إذا تصوّرت علم أنَّ كلَّ ما ذكره المفسّرون في تفسير المتشابه لا يخرج عن هذه التقاسيم.

---

(١) يزفّون أي: يسرعون، وأصله من: زفيف النعامة، وهو ابتداء عدوها.

(٢) هذا رأي الراغب، ولكن هذه الكاف أدت دورًا عظيمًا في تقديم المعنى المطلوب الذي يظهر من خلاله تعظيم الله جل مجده، فراجع كتاب "النبأ العظيم (ص: ١٦٥- ١٧٠)" للدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله.

المطلب الثاني: أقسام المتشابه عند بعض العلماء:

ستقول: فما أقسام المتشابه عند بعض العلماء؟

المطلب الثالث: المتشابه عند الراغب ﷺ من حيث مدى تحديده ومعرفته ثلاثة أضرب:

الأول: ضرب لا سبيل للوقوف عليه: كوقت الساعة وأشراطها.

الثاني: للإنسان سبيل إلى معرفته: كالألفاظ الغريبة والأحكام الغَلِقَة.

الثالث: وضرب متردد بين الأمرين يجوز أن يختص بمعرفة حقيقته بعض الراسخين في العلم ويخفى على من دونهم، وبناء على ذلك فالوقف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، ووصله بقوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧]، كلاهما جائز، ولكل واحد منهما وجهه [(١)].

هنا قد تسأل: هل تشابه القصص في القرآن يعني التماثل التام؟ فمثلاً: قول السحرة في سورة الأعراف: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الأَعْرَاف: ١١٣]،

(١) مفردات القرآن (ص: ٧٤٧).

وهم قالوا في سورة الشعراء: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٤١]، فهل هذا يدل على التشابه التام؟

الجواب: لا بل يدل على التشابه العام لا التماثل التام، فإن المشهد الأول يوضح لنا صنفًا من السحرة بلغوا من القوة والمكانة أن يفرضوا على فرعون شروطهم، وأما مشهد الشعراء، فيقص علينا قصة مجموعة أخرى لم يبلغوا تلك المكانة، فسألوا فرعون أن يعاملهم مثل معاملة السابقين لهم، فهذان مشهدان.

وتشابهه هنا لا يعني التماثل التام، ولا يعني أن العبرة بالمعاني لا بالمباني كما يشير إليه كلام الإمام البقاعي ﷺ[1]، بل إن القصة عبر عنها في كل موضعٍ **بأوفى بيانٍ مناسبٍ لنظم السورة ومعانيها الكلية والجزئية**، وعند جمع مواضع القصة المختلفة في السور ترى من ذلك صورةً كلية مدهشة اجتمعت أجزاؤها المتفرقة، وبذلك يتحقق معنى كلمة الحق الوارد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢]، الحق أي في لفظه ومعناه، واضرب لذلك مثلاً بالترجمة العربية للغة موسى وسليمان وأيوب عليهم الصلاة والسلام، وكذلك للغة فرعون وآزر والنمرود... فما ورد في القرآن يترجم ترجمة دقيقة عن كلامهم، لكن هذه الترجمة روعيت فيها المعاني والعواطف المصاحبة، وليس مجرد المعنى العام فحسب.

مثال تدريبي: ماذا تفهم من قول فرعون: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾؟

المبحث الخامس: المتشابه عند الإمام الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) ﷺ[2]:

يمكن تلخيص المتشابه عنده في نوعين:

النوع الأول: سماه الشاطبي ﷺ: المتشابه الحقيقي:

فإن قلت: فما المراد بهذا النوع الذي سماه الشاطبي ﷺ المتشابه الحقيقي؟

الجواب: هو ما نقل عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: «الْمُحْكَمُ مَا عَلِمَ الْعُلَمَاءُ تَأْوِيلَهُ، وَالْمُتَشَابِهُ مَا لَمْ يَكُنْ لِلْعُلَمَاءِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ سَبِيلٌ»، فالْمُتَشَابِهَ بذلك مَا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ، وذلك كَقِيَامِ السَّاعَةِ، فالمعنى مفهوم، وحقيقة وقت القيام، أو حقيقة الجنان والنيران في الآخرة، مسألة يأتي تأويلها عندما يجيء وقتها، ومن المتشابه: آيَاتُ الصِّفَاتِ، وَأَحَادِيثُ الصِّفَاتِ يُعْلَمُ مَعْنَاهُا، وآثارها، وتجهل كيفيتها، كما قال مَالِك ﷺ: "الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ".

النوع الثاني: سماه الشاطبي ﷺ: الْمُتَشَابِه الإضافي:

ستقول: فما المقصود بالمتشابه الإضافي عند الإمام الشاطبي ﷺ؟

الجواب: هو الْخَفِيُّ الدلالة؛ ولذا قال مجاهد ﷺ: "الْمُتَشَابِه مَا اشْتَبَهَتْ مَعَانِيهِ"، فلا نفهم معناه بدقة أو مباشرة، بل يلتبس معناها على كثير من الأذهان؛ لكون دلالتها مجملة، وربما تبادر

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١/ ٢٨٤).

(٢) الموافقات (٣/ ٣١٥).

إلى بعض الأفهام غير المراد منها، ونقل عن أحمد ﷺ: أَنَّهُ مَا احْتَاجَ إِلَى بَيَانٍ، ونقل عن الشافعي، وأحمد: أنه ما احتمل وجوهًا؛ وبذا يحتاج المتشابه إلى دَلِيلٍ آخَرَ؛ ليظهر المراد منه، فَإِذَا تَقَصَّى الْمُجْتَهِدُ أَدِلَّةَ الشَّرِيعَةِ، وَجَدَ فِيهَا مَا يُبَيِّنُ مَعْنَاهُ، وَالتَّشَابُهُ بِالْمَعْنَى الْحَقِيقِيِّ قَلِيلٌ جِدًّا فِي الشَّرِيعَةِ، وَبِالْمَعْنَى الْإِضَافِيِّ كثير، ويشير إلى المحكم والمتشابه أيضًا حديث النُّعْمَان بْن بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الْحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ، لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ، اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ، كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ»[(١)]، وقوله: «لا يعلمها كثير من الناس» يدل على أن بعض الناس —وهم أهل العلم– يعلمونها، ويقدرون على فك تشابهها؛ وبذا يكون النص وَالظَّاهِر من دلالات الأحكام من الْمُحْكَم لِاتِّضَاحِ دَلَالَتِهِمَا، وَإِنْ كَانَ الظَّاهِرُ يَتَطَرَّقُهُ احْتِمَالٌ ضَعِيفٌ، وَالْمُجْمَلُ وَالْمُؤَوَّلُ هُمَا من الْمُتَشَابِه الإضافي؛ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي خَفَاءِ الدَّلَالَةِ، وَإِنْ كَانَ الْمُؤَوَّلُ دَالاًّ عَلَى مَعْنًى مَرْجُوحٍ يُقَابِلُهُ مَعْنًى رَاجِحٌ، وَالْمُجْمَلُ دَالاًّ على معنى مرجوح يُقَابله مرجوح آخَرُ[(٢)]، وفي بيان التأويل يقول السيوطي ﷺ في الكوكب الساطع[(٣)]:

الظَّاهِرُ الدَّالُ بِرُجْحَانٍ وَإِنْ ... يُحْمَلْ عَلَى المَرْجُوحِ تَأْوِيلٌ زُكِنْ

صَحِيْحٌ ان كَانَ دَلِيْلٌ أَوْ حُسِبْ ... فَفَاسِدٌ أَوْ لاَ لِشَيءٍ فَلَعِبْ

وقال في المُجْمَل:

هُوَ الَّذِيْ لَمْ تَتَّضِحْ دَلَالَتُهْ ... فَلَيْسَ مِنْهُ إِذْ بَدَتْ إِرَادَتُهْ

آيَةُ سَرْقَةٍ، وَمَسْحِ الرَّاسِ ... وَحُرْمَةِ النِّسَا، وَرَفْعِ النَّاسِي

وَنَحْوُ: لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِي ... وَقَدْ حُكِيْ دُخُوْلُهَا فِي المُجْمَلِ

وَإِنَّمَا الْإِجْمَالُ فِي الْأَنْوَارِ ... وَالْقُرْءِ، وَالْجِسْمِ، وَكَالْمُخْتَارِ

وقولُهُ سُبْحَانَهُ: أَوْ يَعْفُوْ ... وَالرَّاسِخُوْنَ مُبْتَدًا أَوْعَطْفُ

وبذا نفهم التقعيد الشهير الذي خططه العقل الذكي لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في آيات القرآن الكريم حين قال: «نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ: حَلالٍ وَحَرَامٍ، لا يَسَعُ أَحَدًا جَهْلُهُمَا، وَوَجْهٍ عَرَبِيٍّ تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ، وَوَجْهِ تَأْوِيلٍ يَعْلَمُهُ الْعُلَمَاءُ، وَوَجْهِ تَأْوِيلٍ لا يَعْلَمُهُ إِلا اللَّهُ ﷻ»[(٤)]، فالثلاثة الأوجه الأولى هي المحكمات، والوجه الرابع وشيء من الوجه الثالث من المتشابهات.

---

(١) البخاري (٥٢).

(٢) التحرير والتنوير (٣/ ١٥٦).

(٣) الكوكب الساطع (٣/ ١٥ص: ٧٠، ٧١).

(٤) القدر للفريابي (ص:٢٣٠)، وقال المحقق: إسناده ضعيف، وأخرجه الطبراني في: مسند الشاميين، وابن جرير الطبري نحوه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا، وهذا سند لا يصح.

المبحث السادس: قواعد هامة في باب الإحكام والتشابه

قاعدة: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ تدل على ضرورة رد المتشابه إلى المحكم لإزالة تشابهه:

وقد تسأل: ما حكم المحكم؟ وماذا تعني كلمة (أم)؟

الجواب: بين الله ﷻ حكم المحكم، فقال: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وكلمة (أم) هنا تعني أمرين:

أصل الكتاب الذي يرجع إليه كل متشابه، ومعظم الكتاب وأكثره، كما في تفسير المفسرين(١).

فيرد المتشابه إلى المحكم، والخفي إلى الجلي؛ وبذا يُصدِّق القرآن بعضه بعضًا، ولا يظهر فيه تناقض؛ ولذا لا بد من التعلم، ونشر العلم بالكتاب والسنة، وتأهيل أولي العلم القادرين على الاستنباط، ووضع النبي ﷺ قاعدة عظيمة للتعامل مع المتشابه، تضبط المسألة، ويعرفها أولو الألباب، فقال: «مهلا يا قوم، بهذا أهلكت الأمم من قبلكم: باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضًا، بل يصدق بعضه بعضًا، فما عرفتم منه، فاعملوا به، وما جهلتم منه، فردوه إلى عالمه»(٢)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «نزل القرآن على سبعة أحرف، المراء في القرآن كفر -ثلاث مرات- فما عرفتم منه، فاعملوا، وما جهلتم منه، فردوه إلى عالمه»(٣).

وفي ذلك يقول فضيلة الشيخ الطالب زيدان -وفقه الرحيم الرحمن-:

وفي كتـــــابِ اللهِ مُحْكَمـــــاتُ ... لَهـــا تُـــرَدُّ المُتَشـــابِهاتُ

فمُحْكَمـــاتُ الـــذِّكْرِ هُـــنَّ الأمُّ ... لـــهُ، فمَـــا نَفَتْـــهُ لا نَؤُمُّـــوا

قاعدة: المتشابه يجب أن يُرد إلى المحكم إما لمعرفة حقيقته، أو لمعرفة طريقة التعامل معه:

أما لمعرفة حقيقته فكالغريب، والمشترك، وأما لمعرفة طريقة التعامل معه فكآيات الصفات فإنها ترجع إلى المحكم من نحو قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:]،

ولعلك تسأل: فما أقسام المتشابه عند الخطابي رحمه الله؟ وما علاقته بالقاعدة السابقة؟

الجواب: قال الخطابي رحمه الله: المتشابه على ضربين:

أحدهما: ما إذا رد إلى المحكم، واعتبر به عرف معناه.

والآخر: ما لا سبيل إلى الوقوف على حقيقته، وهو الذي يتبعه أهل الزيغ فيطلبون تأويله ولا يبلغون كنهه فيرتابون فيه فيفتتنون(٤).

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ١٧٠).

(٢) أحمد (٦٧٠٢)، وقال شعيب الأرناؤوط: "صحيح، وهذا إسناد حسن".

(٣) أحمد (٧٩٧٦)، وقال شعيب الأرناؤوط: "إسناده صحيح على شرط الشيخين".

(٤) الإتقان (٢/ ١٠).

قاعدة لابن تيمية ﵀ في كيفية جعل المتشابه محكمًا، وهي قاعدة يؤكد فيها على تعريف المنسوخ عند السلف:

"الله جعل المحكم مقابل المتشابه تارة، ومقابل المنسوخ أخرى، والمنسوخ يدخل فيه في اصطلاح السلف العام كل ظاهر ترك ظاهره لمعارض راجح كتخصيص العام وتقييد المطلق فإن هذا متشابه لأنه يحتمل معنيين، ويدخل فيه المجمل فإنه متشابه وإحكامه رفع ما يتوهم فيه من المعنى الذي ليس بمراد"(١).

المبحث السابع: أمثلة لرد المتشابه إلى المحكم

اذكر أمثلة لرد المتشابه إلى المحكم.

المثال الأول: مثال على التشابه العام (يصدق بعضه بعضًا):

روى الطبري ﵀ عن مجاهد: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾: ما فيه من الحلال والحرام، وما سوى ذلك، فهو"متشابه"، يصدِّق بعضُه بعضًا، وهو مثل قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]، ومثل قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، ومثل قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [مُحَمَّد: ١٧]، أي: أن هذه الأمثلة تصدق المتشابه الوارد في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧](٢).

المثال الثاني: التشابه في قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]:

يجعل غلاة النصارى قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] دليلاً على أن المراد أن عيسى إله؟ لأنه مِنْ جِنْسِهِ، وَجِنْسُهُ لَا يَتَبَعَّضُ، فَهُوَ هُوَ، ولكننا نحمل هذه الآية على مثل قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩].

انقسام الناس أمام الآيات المحكمات والمتشابهات إلى قسمين: الزائغين، والراسخين:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:٧].ابتلى الله ﷻ العباد بتقسيم الكتاب إلى قسمين: المحكم، والمتشابه؛ ليظهر الزائغ، والراسخ:

فالصنف الأول هم الذين في قلوبهم زيغ:

والزيغ هو الميل المنحرف(٣)، الذي يجعل صاحبه يخوض فيما لا يحل له في العقيدة، أو التشريع، مصرًا على الجهل، أو متعمدًا للسوء، فيترك المحكم الواضح ويذهب إلى المتشابه، ويعكس الأمر، فيحملون المحكم على المتشابه لغرضين:

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٧٢).

(٢) تفسير الطبري، طبعة دار الحديث (٣/٩٦)، وقال المحقق: إسناده حسن.

(٣) مقاييس اللغة (٣/ ٤٠).

أهداف الزائغين من تأويل متشابه القرآن الكريم:

فإن قلت: ما أهداف الزائغين من تأويل متشابه القرآن الكريم؟

الجواب: أهداف وأغراض الزائغين من تأويل متشابه القرآن الكريم:

الغرض الأول: ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ:

فهؤلاء المجرمون المتعمدون يريدون التلاعب بالنصوص؛ ليصلوا بالناس إلى إيقاع الفتنة بينهم، أو إلى فتنتهم في دينهم بتقرير المعاني الباطلة، كأن يقرروا معنى باطلاً، أو ينكرون المعاني الصحيحة بكلام مشتبه.. فما أكثر ذلك في عالم المبتدعة والمنافقين المفسدين!

الغرض الثاني: ابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ:

فهؤلاء الجاهلون المتجرئون يبتغون إرجاعه إلى شيء ليسوا هم أهلاً له، فلا يستطيعون إحكامه مما يختص الله ﷻ بتأويله، أو لا يمكن بيانه بالمعنى المحكم إلا على يد الراسخين في العلم؛ ولذا قال الله ﷻ بعدها: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، فالعلم هو (أن تأخذه من أهله في محله).

هل طلب التأويل مذمة؟

الجواب: لَيْسَ طَلَبُ تَأْوِيلِهِ فِي ذَاتِهِ بِمَذَمَّةٍ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ حال عطف الراسخين على لفظ الجلالة، ولأن النبي ﷺ دعا لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بالفقه في الدين وتعلم التأويل[(١)]، وإنما محل الذم أن يقوم بالتأويل من ليس أهلاً له، فيفتنون الناس جهلاً أو عمدًا لطلب جمع العوام حولهم؛ ولذا قالت عَائِشَةَ رضي الله عنها: تَلاَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]. قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ، فَاحْذَرُوهُمْ»[(٢)].

فإن قلت: هلا ضربت بعض الأمثلة لمتبعي المتشابه؟

الجواب في المبحث الآتي:

المبحث الثامن: أمثلة على من اتبع المتشابه

المثال الأول: ذو الخويصرة التميمي أول من اتبع المتشابه:

كان أول من تجرأ، فأعلن رد الحديث المسموع من النبي ﷺ مباشرة، فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ -وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اعْدِلْ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ

(١) أحمد (٢٣٩٧).

(٢) البخاري (٤٥٤٧).

لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ»، فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ: «دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ[١] فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ -وَهُوَ قِدْحُهُ- فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ[٢] فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ[٣] آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ[٤]، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ»، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ ﷺ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ، فَأُتِيَ بِهِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي نَعَتَهُ، وفي رواية للبخاري: بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْيَمَنِ بِذُهَيْبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ، لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا، قَالَ: فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: بَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ، وَأَقْرَعَ بْنِ حَابِسٍ، وَزَيْدِ الْخَيْلِ، وَالرَّابِعُ: إِمَّا عَلْقَمَةُ، وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلاَءِ، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً»، قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، نَاشِزُ الْجَبْهَةِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الإِزَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اتَّقِ اللَّهَ، قَالَ: «وَيْلَكَ، أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ؟» قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ، قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلاَ أَضْرِبُ عُنُقَهُ! قَالَ: «لاَ، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي»، فَقَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ قُلُوبَ النَّاسِ، وَلاَ أَشُقَّ بُطُونَهُمْ، قَالَ: ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقَفٍّ، فَقَالَ: «إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا (أي: من نسله) قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ رَطْبًا، لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، وَأَظُنُّهُ قَالَ: لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ»[٥].

فهذا الرجل أعمل القرآن فقط، ولم يجعل فعل النبي ﷺ وسنته مفسرة للقرآن، وهذه الصفة من أوصاف من يتبع المتشابه، وإنما امتنع رسول الله ﷺ عن قتله؛ لأنه لم يشهر سلاحًا بعد ضد المسلمين؛ ولذا حث على قتالهم عندما يفعلون ذلك، وأما قبل ذلك، فيكتفى بالإنكار العلني عليهم.

---

(١) الرصاف: جمع رَصَفَة، وهي العَقَب الَّتِي فَوق الرُّعظ، والرُّعظ مدْخل النصل فِي السهْم. غريب الحديث للقاسم بن سلام (١/ ٢٦٦).

(٢) القذذ: جمع قُذَّة، وهي ريش السهْم،كل ريشة قُذَّة، وَمِنْه: "حَذْو القذة بالقذة" أَي كَمَا تُقَدَّر كل قُذَّة عَلَى صاحبتها، يضْرب مثلًا للشيئين يستويان. غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ٢٢٦).

(٣) «سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ»: أَيْ مرَّ سَرِيعًا فِي الرَّمِيَّة وخرجَ مِنْهَا لَمْ يعْلَق مِنْهَا بشَيء مِنْ فَرْثها ودَمِها لسُرْعَته، شَبَّه بِهِ خرُوجَهم مِنَ الدِّين وَلَمْ يَعْلَقوا بِشَيْءٍ مِنْهُ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٣٨).

(٤) البَضْعة بِالْفَتْحِ: الْقِطْعَةُ مِنَ اللَّحْمِ، وَقَدْ تُكْسَرُ، «تَدَرْدَرُ» أَيْ: تَرجْرَجُ تَجِيء وَتَذْهَبُ. وَالْأَصْلُ تَتَدَرْدَرُ، فَحَذَفَ إِحْدَى التاءَين تَخْفِيفاً. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١١٢، ١٣٣).

(٥) البخاري (٣٦١٠).

المثال الثاني: تَأْوِيل الزائغين الْمُشْرِكِينَ للآيات على غير ما وجهها:

كما في تأويل العاصي بن وائل بأن الحياة الآخرة -تستلزم إن وجدت- التماثل لواقع الحياة الدنيا، فعَنْ خَبَّابٍ ﷺ قَالَ: كُنْتُ قَيْنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ لِي عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ قَالَ: لاَ أُعْطِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَقُلْتُ: لاَ أَكْفُرُ حَتَّى يُمِيتَكَ اللَّهُ ثُمَّ تُبْعَثَ. قَالَ: دَعْنِي حَتَّى أَمُوتَ وَأُبْعَثَ فَسَأُوتَى مَالاً وَوَلَدًا، فَأَقْضِيَكَ، فَنَزَلَتْ ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا﴾[مريم: ٧٧][(١)].

المثال الثالث: تأويل القرامطة الزائغين لقوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]:

نقل الطاهر بن عاشور ﷺ مِثَال تَأْوِيلِ الزَّنَادِقَةِ مما حَكَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيّ بن رزام الطَّائِيُّ الْكُوفِيُّ قَالَ: كُنْتُ بِمَكَّةَ حِينَ كَانَ الْجَنَّابِيُّ -زَعِيمُ الْقَرَامِطَةِ- بِمَكَّةَ، وَهُمْ يَقْتُلُونَ الْحُجَّاجَ، وَيَقُولُونَ: أَلَيْسَ قد قَالَ لَكُمْ مُحَمَّدٌ الْمَكِّيُّ: «وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا، فَأَيُّ أَمْنٍ هُنَا؟» قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: هَذَا خَرَجَ فِي صُورَةِ الْخَبَرِ، وَالْمُرَادُ بِهِ الْأَمْرُ، أَيْ: وَمَنْ دَخَلَهُ فَأَمِّنُوهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾[الْبَقَرَة: ٢٢٨]. وَالَّذِينَ شَابَهُوهُمْ فِي ذَلِكَ كُلُّ قَوْمٍ يَجْعَلُونَ الْبَحْثَ فِي الْمُتَشَابِهِ دَيْدَنَهُمْ، وَيُفْضُونَ بِذَلِكَ إِلَى خِلَافَاتٍ وَتَعَصُّبَاتٍ. وَكُلُّ مَنْ يَتَأَوَّلُ الْمُتَشَابِهَ عَلَى هَوَاهُ، بِغَيْرِ دَلِيلٍ، عَلَى تَأْوِيلِهِ مُسْتَنِدٌ إِلَى دَلِيلٍ وَاسْتِعْمَالٍ عَرَبِيٍّ[(٢)].

المثال الرابع: تأويلات صبيغ بن عسل وزيغه:

عن سليمان بن يسار ﷺ: أن رجلاً من بني تميم يقال له: صبيغ بن عسل، قدم المدينة، وكانت عنده كتب، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فبلغ ذلك عمر ﷺ، فبعث إليه وقد أعد له عراجين النخل، فلما دخل عليه جلس، فقال له عمر ﷺ: من أنت؟ فقال: أنا عبد الله صبيغ، فقال عمر ﷺ: وأنا عبد الله عمر، ثم أهوى إليه، فجعل يضربه بتلك العراجين، فما زال يضربه حتى شجه، فجعل الدم يسيل على وجهه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد -والله- ذهب الذي كنت أجد في رأسي، وروى ذلك الدارمي أن صبيغ جعل يسأل عمر ﷺ أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر، فبعث به ابن عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب، فلما أتاه الرسول بالكتاب، فقرأه، فقال: أين الرجل؟ فقال: في الرَّحْل. قال عمر ﷺ: «أبصر أن يكون ذهب، فتصيبك مني العقوبة الموجعة»، فأتاه به، فقال عمر ﷺ: «تسأل مُحْدَثَةً»، فأرسل عمر ﷺ إلى رطائب من جريد، فضربه بها حتى ترك ظهره دَبُرَةً -أي قروحًا-، ثم تركه حتى برئ، ثم عاد له، ثم تركه حتى برئ، فدعا به ليعود له، قال: فقال صبيغ: إن كنت تريد قتلي، فاقتلني قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد تداويني، فقد -والله- برئت، فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى

---

(١) ابن حبان (٤٨٨٥)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) التحرير والتنوير(١٦٢/٣).

الأشعري ﷺ أن لا يجالسه أحد من المسلمين، فاشتد ذلك على الرجل، فكتب أبو موسى ﷺ إلى عمر ﷺ أن قد حسنت توبته، فكتب عمر ﷺ أن يأذن للناس لمجالسته[(١)].

المثال الخامس: تأويلات الفرق الضالة والحداثيين والعلمانيين:

يدخل فيمن يتبع المتشابه منه كل من تمسك بدليلٍ جزئي، فاستظهره على هواه من الأفراد والفرق، كمؤولة النصوص من الحداثيين، والعلمانيين، والخوارج الذين يسمون بالرافضة، وغيرهم ممن يحاول الاستظهار بنصوص في الدين على أهوائهم.

هنا نجيب عن سؤال طالما أرق بعض شباب المسلمين، وحاول المتربصون أن يصطادوا به في الماء العكر، وهو: هل يوجد في النصوص الشرعية ما يؤدي إلى الإجرام، والغلو، والتوحش الذي سموه: (الإرهاب)؟

الجواب: لا قطعًا، ولكن الله ﷻ جعل النصوص: محكمات، ومتشابهات، فيأتي الزائغون ليأخذوا المتشابهات، ولا يردونها إلى المحكمات؛ ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله على أهوائهم، وهذا الذي جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَذُكِرَتِ الْخَوَارِجُ (عِنْدَهُ) وَمَا يُلْقُونَ فِي الْقُرْآنِ، فَقَالَ: «يُؤْمِنُونَ بِمُحْكَمِهِ ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ». وَقَرَأَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الْآيَةَ[(٢)].

المبحث التاسع: من صور الاتباع المذموم للمتشابه

اذكر بعض صور الاتباع المذموم للمتشابه.

الجواب: من صور الاتباع المذموم للمتشابه ما يأتي:

١) التشكيك في معاني القرآن؛ فقد قال السدي ﷺ: يتبعون المنسوخ والناسخ، فيقولون: ما بال هذه الآية عمل بها كذا وكذا مكان هذه الآية فتركت الأولى وعمل بهذه الأخرى؟ هلا كان العمل بهذه الآية قبل أن تجيء الأولى التي نسخت؟ وما باله يعد العذاب من عمل عملًا يعذبه [في] النار وفي مكان آخر: من عمله فإنه لم يوجب النار؟

٢) تأويل بعض المعاني وفق الأهواء، والإعراض عن المعاني الأخرى، فقد عمد الوفد النصراني الذين قدموا على رسول الله ﷺ من نصارى نجران فخاصموا النبي ﷺ قالوا: ألست تزعم أنه كلمة الله وروح منه؟ قال: بلى ! قالوا: فحسبنا! فأنزل الله ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ [آل عمران: ٧]، ثم إن الله جل ثناؤه أنزل: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩] الآية.

---

(١) البزار (٤٢٣/١) برقم (٢٩٩)، الدارمي (١٥٠)، وقال حسين سليم:" إسناده ضعيف؛ لضعف عبد الله بن صالح "، وفي القطوف الدانية (ص: ٤٩)، قال:" فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث، صدوق كثير الغلط. والمرجح في مثل هذا صدقه لموافقته لمنهج أهل السنة"، والحديث أخرجه الآجري في كتاب الشريعة (٤٨٣/١) عن سليمان يسار، قال المحقق:" إسناده منقطع، رجاله ثقات، إلا أن سليمان بن يسار لم يسمع من عمر ﷺ" .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥ / ٣١٢) برقم (٣٩٠٥٧)، وصححه إسناده ابن حجر في فتح الباري (٣٠٠/١٢)، وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم (١ / ٢٤٦) برقم (٤٨٥).

٣) ويعلن قتادة ﵀ في تدبره لآية آل عمران بيانًا عامًّا هو من أعظم البيانات في وصف الزائغين، وركز على الخوارج الذين لهم صور مختلفة في كل عصر فيقول: «عَنْ قَتَادَةَ ﵀، فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ [آل عمران: ٧] وَكَانَ قَتَادَةُ ﵀ إِذَا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران: ٧] قَالَ: إِنْ لَمْ يَكُونُوا الْحَرُورِيَّةَ وَالسَّبَئِيَّةَ فَلَا أَدْرِي مَنْ هُمْ؟ وَلَعَمْرِي لَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِ بَدْرٍ وَالْحُدَيْبِيَةِ الَّذِينَ شَهِدُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْعَةَ الرُّضْوَانِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ خَبَرٌ لِمَنِ اسْتَخْبَرَ، وَعِبْرَةٌ لِمَنِ اسْتَعْبَرَ، لِمَنْ كَانَ يَعْقِلُ أَوْ يُبْصِرُ، إِنَّ الْخَوَارِجَ خَرَجُوا وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ بِالْمَدِينَةِ وَالشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَأَزْوَاجُهُ يَوْمَئِذٍ أَحْيَاءٌ، وَاللَّهِ إِنْ خَرَجَ مِنْهُمْ ذَكَرٌ وَلَا أُنْثَى حَرُورِيًّا قَطُّ، وَلَا رَضُوا الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ وَلَا مَالَئُوهُمْ فِيهِ، بَلْ كَانُوا يُحَدِّثُونَ بِعَيْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِيَّاهُ وَنَعْتِهِ الَّذِي نَعَتَهُمْ بِهِ، وَكَانُوا يَبْغَضُونَهُمْ بِقُلُوبِهِمْ وَيُعَادُونَهُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَتَشْتَدُّ وَاللَّهِ عَلَيْهِمْ أَيْدِيهِمْ إِذَا لَقُوهُم»[(١)].

٤) ومن الصور أن يأخذ المرء ظاهر القرآن غير المراد لله تعالى نقلاً أو عربية، وحينئذ يضربون القرآن بعضه ببعض ويظهرون التناقض بين معانيه، وهذا هو المراد بقوله سبحانه: ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ أي طلب أن يفتنوا المؤمنين والمؤمنات عن دينهم بالتشكيك، والتلبيس، ومناقضة المحكم بالمتشابه[(٢)].

فإن قلت كان ما سبق تفصيل للصنف الأول من أقسام الناس أمام الآيات المحكمات والمتشابهات، فما الصنف الثاني؟

الصنف الثاني: الراسخون:

ستعجب من هذه القدرة البيانية المذهلة المخبوءة في نظم هذه الآية؛ إذ حوى نظمها "عَلَى أَبْلَغِ مَا يُعَبَّرُ بِهِ فِي مَقَامٍ يَسَعُ طَائِفَتَيْنِ مِنْ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ فِي مُخْتَلِفِ الْعُصُورِ"[(٣)]؛ **ولذا ذكر الله تعالى حالَ الممدوحين بالنظر في آيات الكتاب المبين، فجعلهم فئتين، نعرفهما** بناء على اختلاف أقوال المفسرين في الوقف والوصل على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

ربما ستسأل: كيف يمكن أن نفهم أن الممدوحين في صنف الراسخين ينقسمون إلى فئتين؟

الجواب: يمكن استنباط فئتين مدحهما الله ﷻ عند قراءتهم للمتشابه من القرآن الكريم:

الفئة الأولى: الذين لا يعلمون تأويله:

إما لقصور علمهم، وإما لأن المراد بتأويل الآيات حقيقتها، وحقيقتها لا يعلمها إلا الله تعالى، فهؤلاء راسخون في العلم؛ حيث سلموا الأمر لله، فقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، وقد عرفنا هذه الفئة إذا وقفنا على ﴿الله﴾، فيكون المتشابه للعامة هو ما لم يعرفوا معناه لقصور

---

(١) تفسير الطبري طبعة دار الحديث (١٠١/٣)، قال إسلام منصور:" صحيح، أخرجه عبد الرزاق (٣٧٥) في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن – بن يحيى–" .

(٢) روح المعاني (٣/ ٨٢).

(٣) التحرير والتنوير (٣/ ١٦٨).

علمهم، وللعلماء ما استأثر الله ﷻ بعلم كنهه وحقيقته، والعامة هنا يعدون راسخين إذا آمنوا به، وفوضوا الأمر إلى الله ﷻ، كما قيل:

العجز عن دَرك الإدراك إدراك، والخوض فيه كفرٌ وإشراك.

الفئة الثانية: العلماء العارفون بتأويله:

إن أريد بالتأويل: التفسير، والكشف، والإيضاح، بعطف: ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ﴾ على: ﴿الله﴾، فيكون الله قد أخبر أن تفسير المتشابه، ورده إلى المحكم، وإزالة ما فيه من الشبهة، لا يعلمه إلا هو تعالى، والراسخون في العلم يعلمون أيضًا، فيؤمنون به، ويردونه للمحكم، وعرفنا هذه الفئة بوصل كلمة: (الله) بما بعدها؛ ولذا كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: «أَنَا مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، أَنَا أَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ»[١]، وعَنْ **مُجَاهِدٍ** رحمه الله **أنه قال: «وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ، وَيَقُولُونَ: آمَنَّا بِهِ»**[٢].

المبحث العاشر: أسباب التشابه

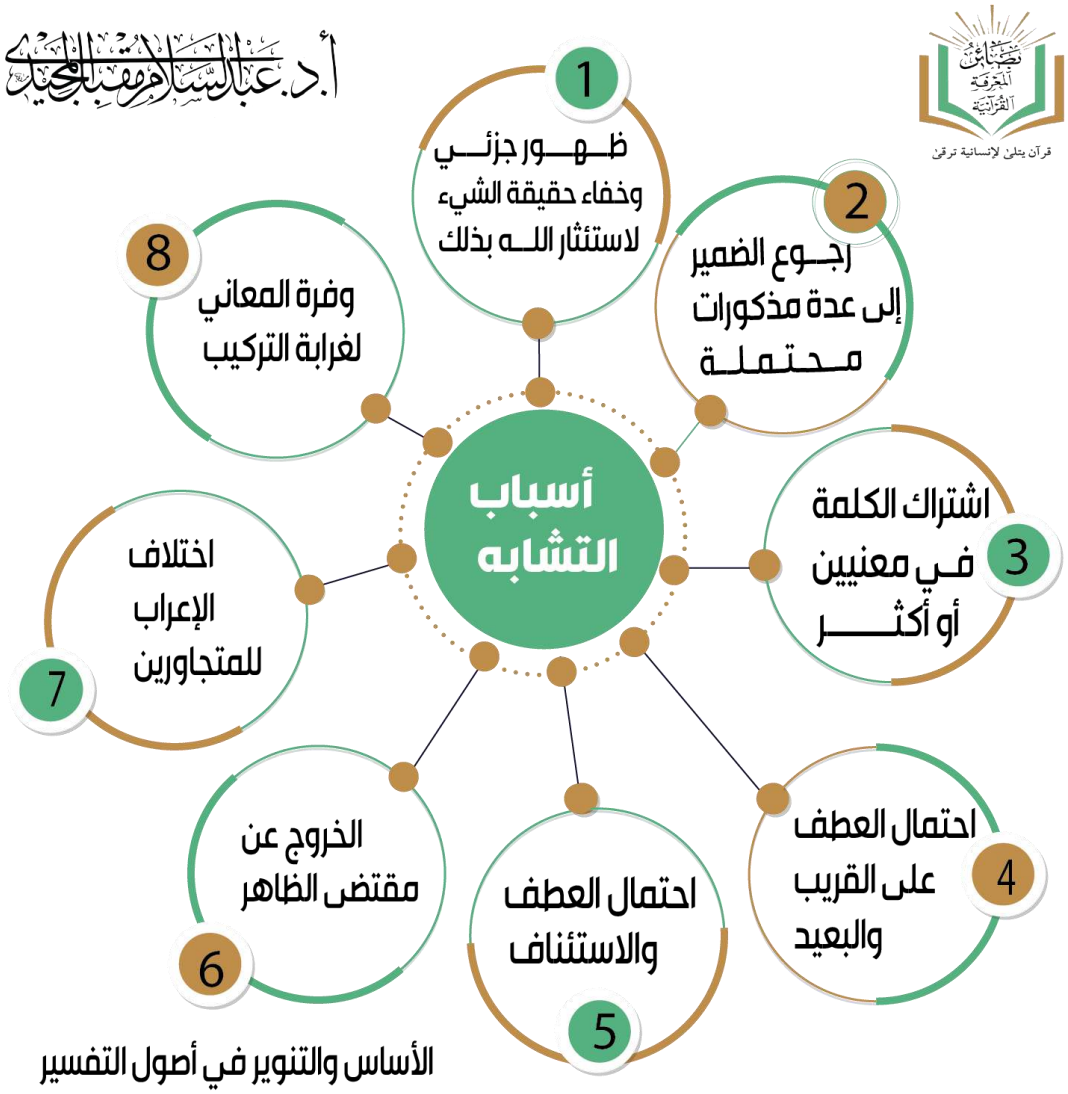

(١) اللباب في علوم الكتاب (٥/ ٤٠).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٢٠٣).

لعلك تسأل: ما أسباب التشابه؟

الجواب: من أسباب التشابه ما يأتي:

أولاً: ظهور جزئي وخفاء حقيقة الشيء لاستئثار الله ﷻ بذلك:

لأن معناه العام واضح أي ليس بطلسم مستغلق، لكن تفصيله وكيفيته، ليس لأحد إلى علمه سبيل، فهو مما استأثر الله بعلمه دون خلقه: وذلك كأحداث اليوم الآخر، أو الحروف المقطعة في أوائل السور إذ معناها العام واضح وهو أنها حروف تألف منها كلام هذا القرآن المعجز، فهي من كلامكم...أما معناها التفصيلي فيظل مبهمًا دون ترجيح.

ومن هذه الناحية يمكن تسميته بالتشابه الحقيقي، أما البقية فتندرج تحت التشابه النسبي أي يمكن معرفة معنى النص فيه لبعض المستنبطين من أهل الذكر دون سائر الناس.

ثانيًا: رجوع الضمير إلى عدة مذكورات محتملة:

كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُواْ﴾ [الفرقان:٥٠] يحتمل رجوع ضمير ﴿صَرَّفْنَـٰهُ﴾ إلى الآتي:

١)ذهب الجمهور إلى أنه راجع إلى ما ذكر من الدلائل: أي كررنا أحوال الإظلال وذكر إنشاء السحاب وإنزال المطر في القرآن، وفي سائر الكتب السماوية ليتفكروا ويعتبروا ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الفرقان:٥٠].

٢)وقيل: إنه يرجع إلى أقرب المذكورات، وهو المطر: أي صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة فنزيد في بعض البلدان وننقص في بعض آخر منها.

٣)وقيل الضمير راجع إلى القرآن، وقد جرى ذكره في أول السورة، حيث قال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان:١]، وقوله: ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾ [الفرقان:٢٩]، وقوله:﴿ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان:٣٠] والمعنى: ولقد كررنا هذا القرآن بإنزال آياته بين الناس ليذكروا به ويعتبروا بما فيه....

٤)وقيل هو راجع إلى الريح[(١)].

ثالثا: اشتراك كلمة في معنيين أو أكثر:

نحو: ﴿لَـٰمَسْتُمُ﴾ فإنها مشتركة في الجماع، واللمس باليد.

رابعًا: احتمال العطف على القريب والبعيد:

نحو: ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة:٦] في قراءة الجر[(٢)].

خامسًا: احتمال العطف والاستئناف:

نحو: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧].

سادسًا: لخروجه عن مقتضى الظاهر:

---

(١) فتح القدير (٤/ ١١٧).

(٢) قرأ نافع، وابن عامر، والكسائي، ويعقوب، وحفص، بنصب اللام، وقرأ الباقون بالخفض. النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٥٤).

كقوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ [يونس:٩] ظاهره أن النبي ﷺ كان شاكًّا فيما أنزل إليه، والمقصود بالخطاب أمته، أو زيادة تثبيته.

سابعًا: اختلاف الإعراب للمتجاورين:

كقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النساء: ١٦٢].

ثامنًا: غرابة التركيب المنتجة لوفرة المعاني:

كقوله تعالى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ﴾ [النساء: ٣].

المبحث الحادي عشر: مراتب المتشابه عند الإمام ابن عاشور رحمه الله

ما مراتب المتشابه عند الإمام ابن عاشور رحمه الله؟

الجواب: لخص الطاهر بن عاشور مراتب التشابه في عَشْر مَرَاتِبَ، ويمكن إيجازها في الآتي:

الأولى: مَعَانٍ قُصِدَ إِيدَاعُهَا فِي الْقُرْآنِ، وَقُصِدَ إِجْمَالُهَا، وعُلمت معاني ألفاظها في الجملة لا في التفاصيل؛ لِعَدَمِ قَابِلِيَّةِ الْبَشَرِ لِفَهْمِ حقائقها الآن، كأَحْوَال الْقِيَامَة، وَالأسماء والصفات، والحروف المقطعة في أوائل السور.

الثانية: مَعَانٍ عَالِيَةٌ ضَاقَتْ عَنْ إِيفَاءِ كُنْهِهَا اللُّغَةُ الْمَوْضُوعَةُ لِأَقْصَى مَا هُوَ مُتَعَارَفُ أَهْلِهَا، فَعُبِّرَ عَنْ تِلْكَ الْمَعَانِي بِأَقْصَى مَا يُقَرِّبُ مَعَانِيَهَا إِلَى الْأَفْهَامِ، وَهَذَا مِثْلُ أَكْثَرِ صِفَاتِ الله، نَحْو: الرحمن، الرؤوف، المتكبّر، نور السَّمَاوَات وَالْأَرْضِ.

الثالثة: ألفاظ مفهومة المعاني إلا أن الأفهام قَصُرَتْ عَنْ تفاصيلها الدقيقة فِي بَعْضِ أَحْوَالِ الْعُصُورِ، وَأُودِعَتْ فِي الْقُرْآنِ لِيَكُونَ وُجُودُهَا مُعْجِزَةً قُرْآنِيَّةً عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي عُصُورٍ قَدْ يَضْعُفُ فِيهَا إِدْرَاكُ الْإِعْجَازِ النَّظْمِيِّ، نَحْوَ قَوْلِهِ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨]، ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢]، ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ [الزمر: ٥]، ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النَّمْل: ٨٨]، ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ٢٠]، ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النُّور: ٣٥]، ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت:١١]، وَذِكْرُ سَدِّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ.

الرابعة: مُصْطَلَحَاتٌ شَرْعِيَّةٌ معروفة عربية، لكنها نقلت في الاصطلاح الشرعي، كَالتَّيَمُّمِ، وَالزَّكَاةِ، والرِّبَا.

الخامسة: أَسَالِيبُ عَرَبِيَّةٌ خَفِيَتْ عَلَى أَقْوَامٍ، فَظَنُّوا الْكَلَامَ بِهَا مُتَشَابِهًا، كالْمُشَاكَلَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النِّسَاء: ١٤٢].

السادسة: آيَاتٌ جَاءَتْ عَلَى عَادَاتِ الْعَرَبِ، فَفَهِمَهَا الْمُخَاطَبُونَ، وَجَاءَ مَنْ بَعْدَهُمْ فَلَمْ يَفْهَمُوهَا، فَظَنُّوهَا مِنَ الْمُتَشَابِهِ، مِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [الْبَقَرَة: ١٥٨]، فِي «الْمُوَطَّأِ» قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: «قُلْتُ لِعَائِشَةَ ﵂ -وَكُنْتُ يَوْمَئِذٍ حَدَثًا لَمْ أَتَفَقَّهْ- لَا أَرَى بَأْسًا عَلَى أَحَدٍ أَلَّا يَطَّوَّفَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ»، فَقَالَتْ لَهُ: «لَيْسَ كَمَا قُلْتَ، إِنَّمَا كَانَ الْأَنْصَارُ يُهِلُّونَ لِمَنَاةَ الطَّاغِيَةِ»[(١)] إِلَخْ.

السابعة: أَفْهَامٌ ضَعِيفَةٌ عَدَّتْ كَثِيرًا مِنَ الْمُتَشَابِهِ وَمَا هُوَ مِنْهُ، كأَفْهَامُ الْبَاطِنِيَّةِ، وَأَفْهَامُ الْمُشَبِّهَةِ، وأفهام المعطلة.

وَلَيْسَ مِنَ الْمُتَشَابِهِ مَا صُرِّحَ فِيهِ بِأَنَّا لَا نَصِلُ إِلَى عِلْمِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الْإِسْرَاء: ٨٥]، وَلَا مَا صُرِّحَ فِيهِ بِجَهْلِ وَقْتِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الْأَعْرَاف: ١٨٧]، وَلَيْسَ مِنَ الْمُتَشَابِهِ مَا دَلَّ عَلَى مَعْنًى يُعَارِضُ الْحَمْلَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ آخَرُ، مُنْفَصِلٌ عَنْهُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى قَاعِدَةِ الْجَمْعِ بَيْنَ الدَّلِيلَيْنِ الْمُتَعَارِضَيْنِ، أَوْ تَرْجِيحِ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى خِطَابًا لِإِبْلِيسَ: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ الْآيَةَ فِي سُورَةِ [الْإِسْرَاء:

(١) الموطأ (١/٣٧٣)، وهو في الصحيحين وغيرهما.

٦٤]، مَعَ مَا فِي الْآيَاتِ الْمُقْتَضِيَةِ إِنَّه لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ﴾ [الزمر: ٧].

وَقَدْ عَلِمْتُمْ مِنْ هَذَا أَنَّ مِلَاكَ التَّشَابُهِ هُوَ: عَدَمُ التَّوَاطُؤِ بَيْنَ الْمَعَانِي وَاللُّغَةِ: إِمَّا لِضِيقِهَا عَنِ الْمَعَانِي، وَإِمَّا لِضِيقِ الْأَفْهَامِ عَنِ اسْتِعْمَالِ اللُّغَةِ فِي الْمَعْنَى، وَإِمَّا لِتَنَاسِي بَعْضِ اللُّغَةِ، فَيَتَبَيَّنُ لَكَ أَنَّ الْإِحْكَامَ وَالتَّشَابُهَ: صِفَتَانِ لِلْأَلْفَاظِ، بِاعْتِبَارِ فَهْمِ الْمَعَانِي[١].

المبحث الثاني عشر: حكمة وجود المتشابه في القرآن الكريم:

اذكر الحكمة من وجود المتشابه في القرآن الكريم.

الجواب: تتلخص الحكمة من وجود المتشابه في القرآن الكريم فيما يأتي:

أولاً: الابتلاء والاختبار:

يوجد المتشابه الذي لا سبيل إلى معرفة حقيقته التفصيلية لابتلاء العقل بالتسليم بما يفوق طاقته، ولذا قال بعضهم: "العقل مبتلى باعتقاد حقيقة المتشابه كابتلاء البدن بأداء العبادة...وقيل لو لم يبتل العقل الذي هو أشرف البدن لاستمر العالم في أبهة العلم على التمرد فبذلك يستأنس إلى

(١) التحرير والتنوير (٣/ ١٥٨).

التذلل بعز العبودية، والمتشابه هو موضع خضوع العقول لبارئها استسلامًا واعترافًا بقصورها"[١]، وفي ذلك يقول الصديق: "العجز عن درك الإدراك إدراك".

ثانيًا: إثارة العقول وفتح باب الاجتهاد:

للاجتهاد في البحث عن مراد الشارع من الألفاظ، ولإعمال العقل، وتحريك الفكر في معرفة المفاهيم، ولخص ابن قتيبة ﷺ ذلك في كلام بديع، فقال: "ولو كان القرآن كله ظاهرًا مكشوفًا حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل؛ لبطل التفاضل بين الناس، وسقطت المحنة، وماتت الخواطر، ومع الحاجة تقع الفكرة، والحيلة، ومع الكفاية يقع العجز، والبلادة"[٢].

لماذا جعل ابن عاشور ﷺ من أسباب وجود المتشابه إبراز مقصد ديمومة الشريعة؟

الجواب: جعل ابن عاشور ﷺ من أهم أسباب وجود المتشابه إبراز مقصد ديمومة الشريعة عبر الزمان، ليتعود حملتها على الاجتهاد، فقال: «عَلَى أَنَّ مِنْ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ أَمْرَيْنِ آخَرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا كَوْنُهُ شَرِيعَةً دَائِمَةً، وَذَلِكَ يَقْتَضِي فَتْحَ أَبْوَابِ عِبَارَاتِهِ لِمُخْتَلِفِ اسْتِنْبَاطِ الْمُسْتَنْبِطِينَ، حَتَّى تُؤْخَذَ مِنْهُ أَحْكَامُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخَرِينَ، وَثَانِيهِمَا تَعْوِيدُ حَمَلَةِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ، وَعُلَمَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، بِالتَّنْقِيبِ، وَالْبَحْثِ، وَاسْتِخْرَاجِ الْمَقَاصِدِ مِنْ عَوِيصَاتِ الْأَدِلَّةِ، حَتَّى تَكُونَ طَبَقَاتُ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ صَالِحَةً- فِي كُلِّ زَمَانٍ- لِفَهْمِ تَشْرِيعِ الشَّارِعِ وَمَقْصِدِهِ مِنَ التَّشْرِيعِ، فَيَكُونُوا قَادِرِينَ عَلَى اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ التَّشْرِيعِيَّةِ، وَلَوْ صِيغَ لَهُمُ التَّشْرِيعُ فِي أُسْلُوبٍ سَهْلِ التَّنَاوُلِ لَاعْتَادُوا الْعُكُوفَ عَلَى مَا بَيْنَ أَنْظَارِهِمْ فِي الْمُطَالَعَةِ الْوَاحِدَةِ. مِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَتْ صَلُوحِيَّةُ عِبَارَاتِهِ لِاخْتِلَافِ مَنَازِعِ الْمُجْتَهِدِينَ، قَائِمَةً مَقَامَ تَلَاحُقِ الْمُؤَلِّفِينَ فِي تَدْوِينِ كُتُبِ الْعُلُومِ، تَبَعًا لِاخْتِلَافِ مَرَاتِبِ الْعُصُورِ.

فَإِذَا عَلِمْتَ هَذَا عَلِمْتَ أَصْلَ السَّبَبِ فِي وُجُودِ مَا يُسَمَّى بِالْمُتَشَابِهِ فِي الْقُرْآنِ»[٣].

ثالثًا: لبيان الحق وإظهار الإعجاز ودمغ الملحدين والمبطلين:

ويعد تناول موضوع المحكم والمتشابه من الواجبات التفسيرية لبيان الحق، وإظهار الإعجاز، ودمغ باطل المبطلين، كما يقول الخطيب الإسكافي ﷺ في معرض حديثه عن سبب تأليفه للكتاب: "ففتقت من أكمام المعاني ما أوقع فرقانًا، وصار لمبهم المتشابه وتكرار المتكرر تبيانًا، ولطعن الجاحدين ردًّا، ولمسلك الملحدين سدًّا"[٤].

رابعًا: إظهار فضل العلم والعلماء:

من أسباب وجود المتشابه بيان مزية أهل العلم، ليزداد حرصهم على الاجتهاد في تدبره وتحصيل العلوم التي نيط بها استنباط ما أريد به من المعاني فيفوزوا بالمشاهد السامية وحينئذ ينكشف لهم

---

(١) الإتقان (٢/ ١٠).

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص: ٨٦).

(٣) التحرير والتنوير (٣/ ١٥٨).

(٤) درة التنزيل (١/٢١٨).

الحجاب، ويطيب لهم المقام في رياض الصواب، وذلك من التربية والإرشاد أقصى غاية...ولذا قال الله ﷻ عن الراسخين في العلم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧] ففي التعبير بالرب إشارة إلى سر إنزال المتشابه والمحكم فهو متضمن معنى التربية والنظر في المصلحة والإيصال إلى معارج الكمال أولًا فأولًا[(١)].

المبحث الثالث عشر: أهم المؤلفات في المحكم والمتشابه

اذكر بعض المؤلفات في المحكم والمتشابه.

الجواب: ألف المعاصرون عددًا كبيرًا من المؤلفات في المحكم والمتشابه، ومن أبرزها:

١) (متشابه القرآن: دراسة موضوعية) لشيخنا الأستاذ الدكتور/ عدنان مُحَمَّد زرزور – متع الله به–.

٢) (معاني المحكم والمتشابه في القرآن الكريم) لشيخنا الأستاذ الدكتور/ أحمد حسن فرحات –متع الله به–.

٣) (المحكم والمتشابه في القرآن الكريم، وأثرهما في الاختلاف العقدي): دراسة مقارنة لشريف قحطان رسالة (ماجستير) في جامعة آل البيت بالأردن، نوقشت ٢٠٠٢م.

٤) (معرفة المحكم والمتشابه، وأثره في التفسير) لحامد العلي رسالة (ماجستير) بالجامعة الإسلامية، نوقشت عام ١٤٠٩هـ.

ويدخل مشكل القرآن في المتشابه المعنوي الإضافي، وينجلي بالنظر إلى دليلٍ آخر حتى يزول الاشتباهُ عنه، "وسمي مشكلاً؛ لأنه أشكل –أي: دخل في شكل غيره–، فأشبهه وشاكله، ثم قد يقال لما غمض –وإن لم يكن غموضه من هذه الجهة مشكل"[(٢)].

وقد تسأل: فما أبرز المؤلفات في مشكل القرآن.

الجواب: من أبرز المؤلفات في مشكل القرآن:

١) (الرد على الزنادقة والجهمية، وما تأولته من متشابه القرآن) للإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، وهو من أنفع المؤلفات، ويدل على العمق القرآني عند الإمام ﵀.

٢) (تأويل مشكل القرآن) لأبي مُحَمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ).

٣) (درة التنزيل وغرة التأويل) لأبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله الأصبهاني، المعروف بالخطيب الإسكافي (ت٤٢٠هـ).

٤) (باهر البرهان فى معاني مشكلات القرآن) لأبي القاسم محمود بن أبي الحسن الغزنوي، أبو القاسم، الشهير بـ (بيان الحق) (ت بعد ٥٥٣هـ).

---

(١) روح المعاني (٣/ ٨٣) بتصرف.

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص: ١٠٢).

٥) (فوائد في مشكل القرآن) لأبي مُحَمَّد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء (ت٦٦٠هـ).

٦) (تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء) لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ).

٧) (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن) لأبي يحيى زين الدين زكريا بن مُحَمَّد الأنصاري (ت ٩٢٦هـ).

٨) (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) للشيخ مُحَمَّد الأمين الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ).

ومن أبرز المؤلفات في المتشابه اللفظي:

١) (متشابه القرآن العظيم)، لأبي حسين أحمد بن جعفر ابن أبي داود المنادي (ت٣٣٦هـ).

٢) (درة التنزيل وغرة التأويل) لأبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي (ت٤٢٠هـ).

٣) (البرهان في متشابه القرآن) أو (أسرار التكرار في القرآن)، أو (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان) لأبي القاسم برهان الدين محمود بن حمزة الكرماني (ت نحو ٥٠٥ هـ)

٤) (ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل) لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت ٧٠٨هـ).

٥) (كشف المعانى فى المتشابه من المثانى) لأبي عبد الله بدر الدين، مُحَمَّد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني (ت ٧٣٣هـ).

٦) (قطف الأزهار في كشف الأسرار) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ).

أسئلة تقويمية:

س١: عرف المحكم لغة واصطلاحًا.

س٢: عرف المتشابه لغة واصطلاحًا.

س٣: ما علاقة علم "المحكم والمتشابه" بأصول التفسير؟

س٤: اذكر أنواع الآيات القرآنية من حيث الإحكام والتشابه، واذكر مثالًا لكل نوع.

س٥: يمكن وصف الآيات القرآنية بأنها محكمة ومتشابهة في آن واحد، فما المراد بذلك؟

س٦: ما متعلق الوصف بالإحكام؟ وإلى أي شيء يعود؟

س٧: هل يدخل في الإحكام ما سمي باختلاف التنوع في التفسير؟

س٨: ما المعتبر في عدِّ المعنى محكمًا؟

س٩: اذكر بعض الأمثلة للآيات المحكمة في القرآن.

س١٠: ما تعريف الدهلوي للمتشابهات؟ وما رأيك بهذا التعريف؟

س١١: ما الفرق بين المتشابه والمشكل؟

س١٢: ما الأنواع العامة التي تدخل في المتشابه؟

س١٣: اذكر بعض الأمثلة للمتشابه الكلي.

س١٤: ما أقسام المتشابه عند الراغب ﵀؟

س١٥: ما أقسام المتشابه عند الإمام الشاطبي ﵀؟ واذكر مثالًا لكل قسم.

س١٦: ما حكم المحكم؟ وماذا تعني كلمة (أم)؟

س١٧: اذكر أمثلة لرد المتشابه إلى المحكم.

س١٨: اذكر بعض الأمثلة لمتبعي المتشابه

س١٩: اذكر بعض صور الاتباع المذموم للمتشابه.

س٢٠: كيف يمكن أن نفهم أن الممدوحين في صنف الراسخين ينقسمون إلى فئتين؟

س٢١: ما أسباب التشابه؟

س٢٢: ما مراتب المتشابه عند الإمام ابن عاشور ﵀؟

س٢٣: اذكر بعض المؤلفات في المحكم والمتشابه، وفي مشكل القرآن.

س٢٤: اذكر أبرز المؤلفات في المتشابه اللفظي.